الكتابة الخطية والاملاء فى اللغة العربية

كانت الحروف العربية قديماً لا تشكل ولا تنقط فكان الناس يميزون بعض الحروف من بعض بالفحوى ويعرفون حركاتها بما فيهم من ملكة وحتما كانوا مع ذلك يلاقون شيئاً من الصعوبات اذا أرادوا القراءة

جاء أبو الأسود الدؤلى فوجد الحاجة ماسة الى تشكيل الكلمات لما بدأ يعرو اللغة من الوهن ويصيبها من اللحن لاختلاط العرب بالأجناس الأخرى فاصطنع شكلا كان فى مبدأ أمره خاصاً بالمصحف لما للقرآن من المكانة الخاصة عند المسلمين وكان هذا الشكل نقطا حمراء مخالفة فى لونها لون الحروف . وتلاه نصر بن عاصم فأوجد النقط وخالف بينه وبين الشكل حتى لا يشتبها وجاء بعدهما الخليل بن احمد فعنى بالشكل والنقط وأوصلهما الى الحال التى نراهما عليها الآن

ومنذ وضع الخليل الشكل الى يومنا هذا لم تتقدم الكتابة الخطية فى جوهرها وان حسّن فى شكلها ومنظرها ونسّق فى نظام حروفها ويمكننا أن نقول أن الشكل والنقط لم يفتآ كما كانا على عهد الخليل لم يسيرا مع تلك القرون خطوة واحدة لقد خدم الخليل وسابقاه اللغة بما أوجدوا من شكل ونقط ميز الحروف والحركات ولكن كان خيراً من ذلك لو محوا المتشابه حتى لا يحتاجوا الى النقط ونظموا فى الشكل وأوجدوا الحروف التى لا يشتبه بعضها ببعض اذ للنقط وللشكل عيوب تظهر فيما يلي :

اذا نظرنا الى الكتابة الافرنجية وجدنا ما ينقط من حروفها اثنان

وهما ب ، ي وكل منهما ينقط بنقطة واحدة ولكننا نجد نصف حروف العربية — وفى حالة نقط الياء يكون أكثر من النصف — ينقط ولا يقتصر على نقطة واحدة بل قد ينقط باثنتين أو ثلاث

قد تستصغر هذه المسألة ولكن لو علمت أن رفع يدك عن الحرف لنقطة ثم العودة الى الكتابة يستغرق من الزمن أكثر مما تستغرقه كتابة حرف لتبين لك أنك محتاج فى الكتابة المنقوطة الى نحو ضعف الزمن الذى تحتاج اليه فى كتابة غير منقوطة واذن لاكبرت المسألة وقدرتها قدرها ذلك الى أن النقطة الواحدة تشتبه كثيراً بالنقطتين وبالثلاث فى خط الرقعة الذى هو أكثر الخطوط استعمالا

ويضاف الى هذين العيبين أن الكتابة التى فيها نقط عرضة لزيادة نقطة أو نقصها وفى ذلك كبير الخطر وتحاشيه يكاد يكون مستحيلا أما عيوب الشكل فهى عيوب النقط بزيادة عموم الشكل وعدم عموم النقط

ومن هذا يتبين لنا اننا لو شئنا كتابة دقيقة : مشكولة منقوطة بحروفنا وشكلنا الحاليين نحتاج الى ثلاثة أمثال الزمن الذى يمكننا فيه كتابة هذا المقدار كتابة غير مشكولة ولا منقوطة

عنى الأولون بالشكل والنقط بعض العناية كما رأينا وأهملهما الآخرون وهناك أمور ذات بال أهملها الجميع تبدو فيما يأتى :

وضعت الحروف العربية على قسمين ما يوصل بما بعده وما ينفصل فلم يفكر أحد قديماً أو حديثاً فى ادخال الاصلاح على الحروف المفصولة حتى يمكن وصلها مع ما فى ذلك من الفائدة

وانظر كيف أن جميع حروف الافرنج توصل بما قبلها وما بعدها لا كالحروف العربية التى يضيع كثير من الزمن فى فصل اليد عن مفصولها ويضاف الى ضياع الزمن فى عيوب الحروف المفصولة اختلاط بعض الكلمات ببعض مما ينشأ عنه كثيراً فهم غير المراد وما تحته خط من الجملة الآتية يبين لك (قال له ولها مر ودعيني) فانها يفهم منها الأمر من أمر وودع كما يفهم منها مرود العين . ولو كانت الحروف كلها موصلة لاستقلت كل كلمة عن الأخرى فلا تختلط كلمتان

وياليت أمر المتقدمين والمتأخرين اقتصر على اهمال هذه المسألة فان المتأخرين تعسفوا فى أشكال الحروف وأربوا على المتقدمين فى التعسف فجعلوا للحرف الواحد أشكالا عدة تختلف باختلاف ما يليه من الحروف ويكفى أن تطلع على مشق لتعرف لبعض الحروف نحو عشرة أشكال ويحضرنى الآن حرف الحاء الذى هذه أشكاله

ح — حا — حم — مح — بحب

وعسى أن يقال أن تنويع هذه الأشكال لغرض عظيم وهو تناسق الحروف ونظامها وانى ردا على هذا أقول أن فى الامكان ايجاد شكل واحد لكل حرف مع الحصول على التنسيق المطلوب ونظرة واحدة للحروف الأوروبية كافية للتسليم بهذا فشكل الحرف لا يتغير فى أى وضع

ان خطى الرقعة والنسخ هما خطا العموم الأول للكتابة والثانى للقراءة فلا يصح أن نضيق على العموم بكثرة الاشكال والاوضاع ونطيل مرحلة التعليم العام

قد تكون كثرة الاشكال أنسب للزخرفة ولكن ليست الزخرفة فى الحروف هى المقصد الأسمى وانما المقصد الأسمى هو الافهام فاذا كان لا بد من الزخرفة فلتكن فى الخطوط الخاصة : الثلث والفارسى والديوانى يتخصص فيها من شاء ويجب البعد عن الرقعة والنسخ لما سبق من أنهما خطا الجميع فالضرورى مقدم على الكمالى والافهام مقدم على الزخرفة وازالة الجهل المطبق بتسهيل التعليم مقدمة على الارتياح لحسن نظام الحروف

تلك العيوب التى تقدمت ليست شيئاً مذكورا بجانب عيب أكبر ألا وهو القواعد الاملائية فهى منذ ولدتها عقول الأوائل لا تزال فى طفولتها أقلم يأن لهـذا الطفل أن يصير شابا . قواعد الاملاء ليست قواعد بالمعنى الصحيح فان المستثنيات أكثر من الاصول فاذا نحن قلنا قواعد فذلك على سبيل التجوز ولعلّ حضرات المعلمين على اختلاف مراكزهم يوافقوننى على ذلك وهم الألى عانوا كل المعاناه تصحيح كراسات الاملاء وبذلوا جهودا عنيفة فى حمل التلاميذ على كتابة الصواب وما كان أحرى تلك الجهود أن تتجه الى نواح أخرى هامة لها أثر فى حياة التلميذ لو كانت كتابتنا الاملائية مبنية على قواعد متينة خالية من الاستثناء

قل لى بربك ما فائدة واو تزيدها فى كلمة أولئك ولماذا تحذف ألفاً تنطقها من كلمة الرحمن وما المرجح بأن تزيد واوا فى أولى ولا تزيدها فى الألى ؟ يقولون انها زيدت لمنع اللبس . وليس هناك لبس فان الألى ملازمة لأل وأولى لا تصحب أل ثم إن المعنى يفهم من السياق

اللغة العربية بتميز بعض كلماتها من بعض بالقرائن لا بالكتابة والا

كان الواجب أن تكتب عين الباصرة غير ما تكتب الجارية وغير ما تكتب التى بمعنى الذهب أو التى بمعنى شخص وغير ما تكتب عين المجازية التى بمعنى جاسوس . فلماذا — لو كانت العرب تعتمد فى منع اللبس على الخط — لم يعن العرب بزيادة حروف أو نقصها فى كلمة عين بحسب معانيها المختلفة . ولكن ماذا نقول لعلماء الاملاء ولهم من العلل ما يجاب العلل

حذار يا قوم من الاستثناء فانه ما دخل لغة الا أفسدها وسيروا وراء العقل والمنطق تهتدوا

لقد أصبحنا والكتابة الخطية والاملائية لا يحسنها الا مضطلع بمتن العربية وقواعدها دائب على المرانة عليها ومع هذا فليس ما يكتب صوابا فى نظر الجميع لكثرة الاختلافات

كيف يمكننا وهذه كتابتنا أن نعمم التعليم ونقدر انسانا فى ست سنوات — وهى مدة التعليم الأولى الاجبارى — على الكتابة الصحيحة بله القراءة

من لمثل هذا الانسان أن يعرف ان كان أصل رحى الواو أم الياء — لماذا تربط القواعد بالاملاء أزيد قصر الكتابة الصحيحة على من قضوا فى التعليم عشرات السنين ؟ هل يعرف تلميذ التعليم الأولى كلمة شبرا ان كانت عربية أم غير عربية وهل يجد مبرراً لكتابة هذه بالألف وكتابة أسنى بالياء الا اذا كان عارفا بتاريخ الكلمتين وبأن الاولى أعجمية والثانية عربية وأنى له أن يميز بينهما وهما فى قطر واحد ؟ هذه عيوب كثيرة فى كتابتنا جمدنا عليها طويلا ولم نفكر فى الخلاص منها وما خطنا الآن

الا الكوفى شذب من عرضه ولم يمس جوهره فشكله جميل وكنهه قبيح وظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب)

نحن الآن فى ابان نهضة لغوية فان صلحت كتابتنا هذه لعهد المماليك أيام تدهور اللغة العربية فلا تصلح لعهد شوقى وحافظ والامام محمد عبده وان القرن العشرين الذى هدم كثيراً من الجمود القديم لجدير أن يمتد معوله الى تلك الانواع الخربة من الكتابة فيدمرها ويبنى بانقاضها أنواعاً جديدة تناسب تطور اللغة . وانى لا أنكر ما ستصادف من صعوبات حين الاصلاح لان الاصلاح الذى نريده هو بطريق الهدم وهدم عادات الامم ليس كهدم عادات الافراد بل يحتاج الى قرون غير أن الصعوبات لا يصح أن تقف مانعاً يحول دون ما نريد فان المصلحين لا يعوقهم شيء وكثيراً ما وقفت العقبات أمامهم فاكتسحوها ولا تظنن اصلاحاً خالياً من عقبات فكل جميل من الاشياء محفوف بالمكاره فلو استسلم المصلحون لخوف العقبات لجبنوا أو يئسوا لما حصل التطور الذى نراه الآن ولكنا نركب الجمال بدل القطر ونتعامل بقوانين طسم وجديث بدل التعامل بالقانون الفرنسى . كم من عقبات ذللت بالمراس وكم من أمر نظر اليه كأنه مستحيل نراه اليوم حقيقة واقعة والطيارات والغواصات خير دليل فواجبنا أن نفكر فى اصلاح الكتابة حتى نصل الى الغاية التى نريد . ولا أعنى أن نزيل عيوب الكتابة دفعة ولا أن نصبح فاذا بنا نكتب كتابة لا عهد لنا بها ونقلع عن كتابة قد ألفناها وعرفناها فان الطبيعة تأبى الطفرة ولا بد من التنقل التدريجى حتى لا تفقد الصلة بين الحاضر والمستقبل والا وقعنا فى فوضى كتابية لوجود فترة بين

القديم والجديد فنصبح حيناً وليس لنا كتابة فنهبط اللغة وتتعطل الاعمال ويخاف على تراثنا المكتوب بل على لغتنا من الزوال

والطريقة المثلى أن نسير سيراً اصلاحياً طبعياً ونغير فى الكتابة تغييراً تدريجياً ولا أرى أسهل فى أمر الاصلاح من الاملاء فان فى الامكان ترقيتها بلا كبير تغيير ثم إنها أهم ما تقدم وأكثره فائدة اذا أصاحت

واصلاح الاملاء يكون بما يأتى :

أولا : أن يوافق المكتوب المقروء فتكتب أولى هكذا ألى وعملوا هكذا عملو والرحمن هكذا الرحمان

ثانياً : ان كل ألف لينة تكتب ألفا فتكتب رمى هكذا رما وفتى هكذا فتا وهذه القاعدة مندمجة فى سابقتها وانما نصصت عليها لأهميتها

ثالثاً : ان كل همزة تكتب فوق ألف فيكتب سؤال هكذا سأال ومسئول هكذا مسأول وضئيل هكذا ضأيل

وليس معنى ذلك أن يكون ما وضعته من القواعد نهائياً بل أريد بذلك فتح الباب لمن يريد الاصلاح

وسأعود فى فرصة أخرى الى اتمام قواعد الاملاء والى الكلام على مداواة الفصل والنقط والشكل إلى جميع ما تقدم حتى نكون قد سبرنا الداء ووصفنا الدواء

عبد البديع
المدرس بمدرسة الناصرية